تحديات ترجمة النصوص النثرية الإنجليزية:

(ترجمة عربية لمذكرة العلامة محمد إقبال الشخصية: ***"Stray Reflections"*** نموذجاً)

Challenges of translating English prose texts: Arabic Translation of Iqbal's Note-Book: "Stray Reflections" as a Case Study

Prof. Dr. Inam ul Haq Ghazi
Chairman centre for Translation studies & multilingualism, Founding X-Charmain of Department of Translation & Interpretation, International Islamic University, Islamabad:
ighazi@iiu.edu.pk

Dr. Nasir Mahmood
Assistant Professor, Department of Arabic/Islamic Studies, University of Sialkot:
nasir.mahmood@uskt.edu.pk

Mudassir Iqbal
PhD Research Scholar, Institute of Islamic Studies and Shariah, MY University, Islamabad:
iqbalmudassir428@gmail.com

Abstract:
Allama Iqbal (1877-1938) is one of the poets and thinkers par excellence in the Muslim world who have made tremendous contribution in the development of viable and dynamic narrative to face the challenges posed by the modern civilization and culture. Although, Iqbal is famous for his Urdu and Persian poetry, he has also penned a number of works in prose genre in English, Urdu, and Persian. His poetic works have been extensively translated into many international languages including Arabic, followed by intellectual and critical deliberations. However, his prose works have not been translated with the same zeal and hence little attention has been given to their analysis and criticism. One of his less known, yet very important, prose works is his personal Notebook: "Stray Reflections". The writer of these lines has translated it into Arabic and faced a bunch of challenges and difficulties that are not only related to ST, TT, and their stylistic peculiarities, but he also encountered a giant mind loaded with abstract ideas and bringing these ideas into the world of tangibles with a writing style that is distinguished with characteristics which demand extraordinary thought process on the part of the translator. The proposed study attempts

to analyse the challenges, difficulties and adopted strategies thereof. It is expected that the results of the study will shed light on the general difficulties of literary translation from English into Arabic and the challenges of translating great minds from one language into another.

Keywords: *Literary Translation, Thought Laden Literary Text, Translation Challenges and Translation Theories.*

يُعدّ العلّامة محمد إقبال (1877م-1938م) من أبرز الشعراء المفكّرين في العالم الإسلامي الذين أسهموا في توجيه الفكر الحيوي الفعّال لدى المسلمين تجاه التحديات الثقافية الحديثة. وعلى الرغم من أنّه مشهور لشعره في اللغتين الفارسية والأردية، إلّا أنّه أدلى بدلوه أيضا في نثر أفكاره بالأسلوب النثري وذلك باللغات الثلاث وهي الأردية والفارسية والإنجليزية. وقد تُرجمت أهمّ أعماله الشعرية إلى عدد كبير من اللغات منها العربية أيضا وبالتالي اهتمّ الباحثون، في مستوى العالم، بدراسة شعره وفكره إلاّ أنّ الاهتمام قليلٌ بترجمات نثره ثمّ دراستها ونقدها. ومن أعماله النثرية المهمة التي ظلّت مغمورة لمدة بعد وفاته، مذكّرته الشخصية بعنوان "Stray Reflections" التي كتبها بالإنجليزية والتي تشرّف كاتب هذه السطور بترجمتها إلى العربية والتعليق عليها. وقد احتك المترجم خلال ترجمتها بتحديات صعوبات لا تتمثّل في خصائص اللغتين المترجم منها والمترجم إليها والأسلوب الأدبي الخاص بهما فحسب، بل تبرز بروزاً في مواجهة عقل كبير يحاول أن يصطاد بانوراما أفكار مجرّدة ويقرّبها إلى عالم المحسوسات بأسلوب يمتاز بميزات تتطلّب من المترجم السعي للوصول إلى مستوى فكره حتى يجد نفسه متمكّنا من نقل بعضها إلى القارئ.

ويهدف هذا البحث إلى تحليل صعوبات وتحديات واجهت المترجم خلال ترجمته العربية لهذه المذكرة الإنجليزية، كما أنّه-أي البحث- يهدف إلى مناقشة إستراتيجيات فضّلها المترجم لحلّ تلك الصعوبات والتحديات. ويُرجى من هذه الدراسة أن تسلّط الضوء على صعوبات الترجمة الأدبية من الإنجليزية إلى العربية عموماً وعلى تحدّيات الترجمة الأدبية المتمثّلة في نقل فكر صاحب المتخيلة غيرالعادية خصوصًا.

ويتكوّن البحث من المقدمة (تحدّثت فيها حول نبذة عن حياة العلّامة محمد إقبال ومؤلّفاته وتكوينه الفكري) والتعريف بمذكّرته الشخصية وأهميّتها، وطريقتي في ترجمتها العربية والصعوبات والتحديات (موزعة على عناوين جانبية) والنتائج، والخاتمة، وقائمة والمراجع.

1-المقدّمة:

نظراً إلى طبيعة الموضوع، رأينا أن نضع بين القارئ مقدّمة تعرّف بحياة العلّامة محمد إقبال وما أنتجه قلمه الفلسفي الشعري الفكري من أفكار أي عرض قائمة مؤلّفاته باللغات الثلاث وهي الفارسية والأردية والإنجليزية.

1-1نبذة عن حياة العلّامة محمّد إقبال:

وُلد الدكتور العلّامة محمد إقبال في الثالث من ذي القعدة عام 1294 الهجري الموافق 9 نوفمبر1877الميلادي بمدينة سيالكوت[1]، وتعلّم اللّغة الفارسية (اللغة العلمية والثقافية في شبه القارة آنذاك) والعربية إلى جانب اللغة الأردية من مولانا مير حسن (1844م-1929م) الّذي غرس فيه الشغف لدراسة الأدبين الفارسي والعربي. وكان مولانا مير حسن من أتباع السير سيد أحمد خان (1817م – 1898م)[2]. فبعد إكماله الماجستير في الفلسفة، سافر العلّامة إقبال إلى أوربا بإشارة من أستاذه توماس واكر آرنولد (1864م-1930م) الّذي علّمه السّير في المناطق الوعرة من العالمين الفكري والفلسفي؛ فحصل إقبال على درجة الدكتوراه من جامعة ميونيخ بألمانيا بعنوان "تطور فلسفة ما وارء الطبيعة في إيران" وذلك في عام 1907م. وقد مكث العلّامة محمد إقبال في أوربا لغرض الدراسة لمدّة ثلاث سنوات ونصف تقريبا. وقد مكّنه هذا المكث من إدراك منهج البحث العلمي الحديث والإلمام بالفلسفة الغربية، كما أنّه لعب دوراً مهمّاً في تكوين شخصيته الفكرية والعلمية؛ فقبل سفره إلى أوربا (على سبيل المثال) كان إقبال يؤمن بفكرة الوطن الغربية وفلسفة وحدة الوجود، ولكنّه عندما عاد من الغرب بدأ يتخلّى عن وحدة الوجود ويبتعد عن هذه الوطنية ابتعاداً حتّى انقلب ضدّها۔

تعتبر السنوات ما بين عام 1908م (حيث رجع من أوربا) إلى عام 1914م، فترة النضج الفكري والفلسفي لدى إقبال؛ ففي عام 1915م نُشرت مجموعته الشعرية الأولى بعنوان "أسرارِ خودى" (أي أسرار الذات وإثباتها)، وفي عام 1918م تمّ طبع مجموعته الشعرية الثانية "رموزِ بے خودى" (أي رموز نفي الذات)۔ ويُعدّ هذان الكتابان مصدرين أساسين لفهم نظريته "الخودي" (أي معرفة الذات وإثباتها) التي تنبع منها جميع نظرياته الأخرى۔

2-1 مؤلّفات العلّامة محمد إقبال:

---

[1] تقع مدينة سيالكوت في جنوب شرقي إقليم بنجاب التابع لباكستان وهي مدينة تتميز بوجود مصانع كرة القدم حيث تعتبر أكبر مدينة في العالم في صناعة كرة القدم۔

[2] كان السير سيد أحمد خان (1817م-1898م) من مفكّري شبه القارة الهندية-الباكستانية الذي عاش خلال احتلال الإنجليز لهذه المنطقة. وقد دعا أهل شبه القارة عموما ومسلميها خصوصا إلى التمكن من العلوم والمناهج العلمية الحديثة واللغة الإنجليزية. وله مؤلفات عديدة تعالج قضايا ثقافية وسياسية ودينية. ويرجع الفضل إليه في تأسيس أوّل مدرسة (ثم جامعة) للمسلمين في هذه المنطقة التي عرفت فيما بعد بجامعة على كره۔ (أُنظر للتفصيل: حياتِ جاويد ، لمولانا ألطاف حسين حالي، الجزء الأول، ارسلان بكس، شارع علامة إقبال، كشمير الحرّة، باكستان)۔

ومن اللّائق أن أسجّل هنا قائمة لمؤلّفاته الشّعرية والنّثرية باللّغات الثّلاث وهي الفارسية والأردية والإنجليزية حتّى تتكوّن لدى القارئ العربي فكرة واضحة عن الموضوعات الّتي تناولها والّتي تُعتبر مكوّنات مهمّة لفكره:

1-2-1 المؤلّفات الفارسية:

1. "اسرارِ خودى" (أي معرفة الذات وإثباتها وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1915م
2. "رموزِ بے خودى" (أي رموز نفي الذات وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1918م
3. "پيامِ مشرق" (أي رسالة الشرق وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1923م
4. "زبورِ عجم" (أي زبور العجم وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1927م
5. "جاويد نامه" (أي رسالة الخلود وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1932م
6. "پس چه بايد كرد أے أقوامِ مشرق " (أي فماذا نصنع الآن يا أمم الشرق؟ وهي مجموعة شعرية) و نُشر أوّل مرة في عام 1936م
7. ارمغانِ حجاز (أي هدية الحجاز وهي مجموعة شعرية. وله مجموعة شعرية أردية أيضاً بنفس العنوان) و نُشر أوّل مرة في عام 1938م

2-2-1 المؤلّفات الأردية:

1. "بانگِ درا" (أي صلصلة الجرس وهي مجموعة شعرية)، و نُشر أوّل مرة في عام 1924م
2. "بالِ جبريل" (أي جناح جبريل وهي مجموعة شعرية)، و نُشر أوّل مرة في عام 1935م
3. "ضربِ كليم" (أي ضرب الكليم وهي مجموعة شعرية)، و نُشر أوّل مرة في عام 1938م
4. "ارمغانِ حجاز" (أي هدية الحجاز وهي مجموعة شعرية)، و نُشر أوّل مرة في عام 1938م
5. "علم الاقتصاد" (وهو مؤلّف بحثي نثري يدرس الاقتصاد كما يقترح العنوان) و نُشر أوّل مرة في عام 1903م

3-2-1 المؤلّفات الإنجليزية (وكلّها بالنثر):

1- The development of Metaphysic in Persia

(أي تطور فلسفة ما وراء الطبيعة في إيران وهو أطروحته الّتي قدّمها إلى جامعة ميونيخ للحصول على شهادة الدكتوراه، ونُشر أوّل مرة في عام 1908م)

2- The Reconstruction of Religious thought in Islam

(أي تجديد الفكر الديني في الإسلام وهو مجموعة محاضراته التي ألقاها في مدن مختلفة للهند مثل مدراس وحيدرآباد وعلى كره، و نُشر أوّل مرة في عام 1930م)

Stray Reflections -3

(أي شوارد الفكر وهو مذكّرته الشخصية، ونُشر أوّل مرة في عام 1961م. وهذا هو الكتاب الّذي قمت بترجمته إلى العربية والتعليق عليه)

3-1 تكوينه الفكري وعوامله:

ثمة عوامل متنوّعة تؤثّر في تكوين أيّ شخصية فلسفية وعلمية وفكرية أو ثقافية، وإقبالنا ليس بدعاً في ذلك أيضاً؛ فقد لعبت عدّة عوامل دورها في إبراز هذا العملاق الشعري على مسرح الأفكار الفلسفية. وأوجز تلك العوامل في نقاط تالية:

- الدّراسة الدّينية التقليدية في الطفولة
- التعمّق في دراسة القرآن الكريم
- حبّه الشّديد لشخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم
- دراسته للتصوف الإسلامي النقدية وتأثره بجزء منه ولا سيّما فكر جلال الدين الرومي (1207م-1273م) الذي يعتبره أستاذاً له ويجعله مرشده في رحلته إلى السماوات التي نظمها في مجموعته الشعرية الفارسية المسمّاة بـ"جاويد نامه" أي رسالة الخلود.
- التعرّف على حركات إصلاحية في شبه القارة وغيرها مثل حركة السيد أحمد خان التي تماثل حركة محمد عبده الفكرية في مصر وحركة السيد جمال الدين الأفغاني.
- دراسته المتأنية للآداب العالمية مثل الأدب الأردي والأدب الفارسي والأدب الإنجليزي والأدب العربي والأدب الألماني.
- تأمّله الطويل في النُظم الفكرية الغربية الأوربية القديمة والمعاصرة له.
- مكثه في أوربا؛ فقد مكث في أوربا ثلاث سنوات والنصف تقريباً فيها للدراسة بالإضافة إلى زياراته إلى البلاد الأوربية الأخرى بين الحين والآخر.

ومن الأمور المهمة التي تستحق الملاحظة هنا هو أنّ العلّامة محمد إقبال عاش في عصر مشحون باليأس والضعف والانحطاط السائد في العالم الإسلامي عموماً وفي شبه القارة الهندية– الباكستانية على وجه الخصوص؛ فكان الجمود والتعطّل يسيطران على معظم جوانب الحياة،

والجبرية كانت تغطّي على الأذهان والعقول المفكّرة كما أنّ نغمات الفن كانت مشوبة بالتشاؤم والاستسلام[3]. وقد عبّر بشعره الأردي عن هذه الحالة بما يلي (الترجمة العربية):

الكلّ يأوى إلى السجن الذي اصطعنه بيده
سواء أكان أهل الشرق الجامدين أم أهل الغرب النشطين
أكان كهنة الكنيسة أم شيوخ الحرم
لا حرارة في أفكارهم ولا عاطفة في أقوالهم
وزعماء السياسة يرتعون في أساليبهم الملتوية البالية
والشاعر أصيب بإملاق التخيّل
فالحياة تنتظر ذلك المهدي الحقّ الذي
يُحدث بنظرته زلزالاً في عالم الأفكار[4]

1- التعريف بمذكّرته الشخصيّة بعنوان "Stray Reflections" وأهمّيّتها، وطريقتي في ترجمتها العربية:

ساضع بين يدي القارئ العربي ، في هذا الجزء من البحث، تعريفًا موجزاً لمذكّرة العلّامة محمّد إقبال وكذلك أشرح طريقتي لترجمتها العربية حتّى أمهّد للتحليل الذي سأقوم به في الجزء الآتي تحت عنوان " الصعوبات والتحديّات":

1-2 التعريف بمذكّرته الشخصيّة بعنوان "Stray Reflections" وأهمّيّتها:

تواجدت هذه المذكرة الشخصية المكتوبة بالإنجليزية في أوراق العلّامة محمد إقبال ووثائقه. وقد بدأ محمد إقبال - وفق ما ثبّته هو نفسه على الصفحة الأولى منها- كتابته في 27 إبريل عام 1910م. وقد بدأ إقبال كتابة هذه المذكّرة، كان عمره آنذاك 33 عاماً وذلك بعد رجوعه من أوربا بعامين تقريباً. ويبدو أنّه استمرّ في تسجيل أفكاره فيها لمدة شهور عديدة، ثمّ توقّف عن ذلك لأسباب غير معروفة. وقد عنونها الشاعر بـ: Stray thoughts أوّلاً ثمّ غيّره وسمّاه بـ: Stray Reflections (الّذي ترجمته أنا بـ: شوارد الفكر) .تحتوي هذه المذكّرة على ملاحظات وكتابات مبنية على انطباعات استمدّها العلامة محمد إقبال من الكتب التي كان يقرؤها آنذاك، ومن التأمّلات الفكرية

---

[3]راجع سيرته التي ألّفها ابنه الدكتور جاويد إقبال ونشرها في أربعة أجزاء بعنوان: زنده رود (وقد تُرجم إلى العربية أيضا بعنوان: "النهر الخالد") إقبال أكادمي، لاهور باكستان 1979م. وقد ركّز المؤلف في هذا الكتاب على نشأة العلّامة إقبال الفكرية وتطوره العقلي والفلسفي في مراحل حياته المختلفة محلّلا في ذلك العوامل الثقافية والعلمية والفكرية (شرقية كانت أوغربية، إسلامية كانت أوغيرها) التي أثّرت في شخصيته بطريقة أوبأخرى.

[4]ضرب كليم ص: 44، كليات إقبال أردو، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور باكستان ، 1979م

في البيئة التي عايشها والأفكار النابعة من كل ذلك، وكذلك تحتوي على ذكريات أيامه الدراسية. على الرغم من أنّ العلامة إقبال توقّف عن كتابة هذه المذكّرة إلاّ أنَّ معظم هذه الكتابات، بالإضافة إلى غيرها من بنات أفكاره التي ضُمّت إلى المذكّرة المنشورة الأصلية، ظلّ يُنشر في مجلات شبه القارة الهندية-الباكستانية وجرائدها الإنجليزية بين الحين والآخر حتى عام 1932م.

وكان محمد إقبال يمرّ بأزمات فكرية واجتماعية ونفسية معقدة آنذاك؛ فقد رجع محمد إقبال من أوربا إلى لاهور في عام 1908م بعد الحصول على شهادة الدكتوراه والتأهيل للممارسة القانونية. وبعد عودته سجّل نفسه كمحام، وبدأ الممارسة المحكمية، وفي الوقت نفسه، عُيّن أستاذاً للفلسفة في الكلية الحكومية بلاهور، ولكنّه استقال عن عمل الأستاذية بعد عامٍ لأنّه أحس بأنّه لا يتمتع بحرّية التعبير عن أفكاره مادام في وظيفة حكومية إنجليزية. وعلى الرغم من العوائق المالية الشديدة التي واجهته، كان إقبال يرغب في وظيفة علمية برعاية أحد حكام الولايات الأميرية بالهند[5] حتى يتمكّن من التعبير عن أفكاره بحرّية. ويبدو أنّه، قبل بداية كتابة هذه المذكّرة، زار[6] ولاية حيدر آباد الدّكن لهذا الغرض ولكنّه عاد إلى لاهور مليئاً باليأس الشديد حيث خاب أمله حينما وجد البرودة الفكرية التي سادت عقول الناس هناك وكذلك خيّب ظنّه موقف حاكم ولاية حيدر آباد الدّكن الهمجي تجاه بريطانيا. وترسم رسائله الموجّهة إلى السيدة عطية، في تلك الفترة، صورة رجل مليء بالمرارة والإحباط بسبب الضغط القمعي للعادات الاجتماعية السائدة في بيئته على أفراد مبدعين مثله. وتمتلئ رسائله بالاشمئزاز الساخر من النفاق وضيق الأفق الفكري والبرّ الذاتي لدى الناس الذين نشأ بينهم محمد إقبال، يقول في إحدى رسائله الموجّهة إليها:

"لا أرغب في أيّ وظيفة، وإنّما أريد أن أفرّ من هذه البلاد في أقرب وقت ممكن ... لقدأصبحت حياتي بائسة للغاية...ويحقّ لي كإنسان أن أتمتّع بالسعادة. وإن حاول المجتمع أو الطبيعة أن يسدّاني من ذلك، فإنّني أرفضهما كليهما. والعلاج الوحيد هو أن أغادر هذا البلد البائس للأبد أو ألجأ إلى الخمر الذي يجعل الانتحار أمراً سهلاً. لا يمكن أن تمكّنني من السعادة هذه الأوراق القاحلة الميتة للكتب. ولقد تراكمت نار كافية في روحي حتى أحرقها وأحرق جميع التقاليد الاجتماعية أيضا"[7].

وفي رسالة أخرى ينفجر محمد إقبال قائلاً:

---

[5] وُجدت ولايات أميرية عديدة حكمها المسلمون خلال الاستعمار البريطاني في شبه القارة الهندية-الباكستانية مثل ولاية حيدرآباد الدكن وولاية بهاولفور وولاية سوات وغيرها.

[6] سافر العلامة محمد إقبال إلى حيدر آباد الدكن بالهند في 19 مارس عام 1910م من لاهور ورجع إليها في 29 مارس 1910م.

[7] .Stray Reflections: 4

"أنا أعيش حياة صادقة مباشرة وقلبي ينسجم مع لساني انسجاماً تامّاً. وأمّا الناس، فهم يحترمون النفاق ويقدّرونه. إذا كان النفاق يجلب لي الشهرة والاحترام والإعجاب، فإنّني أفضّل أن أموت مغموراً لايرثي عليّ أحدٌ. دع الوحوش من الناس ذوي الوجوه المتعددة يحترمون الآخرين الذين يتصرفون ويعيشون وفق مثلهم الدينية والأخلاقية الخاطئة. وأمّا أنا، فلا أقدر على الانحناء والاحترم لتقاليدهم التي تقمع الحرية الفطرية للعقل الإنساني"[8].

يبدو أنَّ العملية الإبداعية تعطّلت لديه أثناء هذا العام لأسباب مذكورة آنفاً. ومن الممكن أنّه، نظراً إلى عدم قدرته على قول الشعر خلال هذه الفترة، لجأ إلى كتابة هذه المذكّرة، وبالتالي هو العمل الإبداعي الرئيسي الذي أنتجه محمد إقبال في عام 1910م.

إنّ العملية الإبداعية محفوفة بالغرابة والعجائبية بحيث نجد فترات الصمت والتراجع لدى الشاعر تخدم هدف العملية الإبداعية السرّيّ. فينبغي أن تكون هناك عواصف عنيفة في هذا الوقت تحت الهدوء الإبداعي لدى محمد إقبال؛ ففي العام التّالي أي 1911م اندلع شاعرنا باحتجاجه القوي تجاه الربّ المتمثّل في قصيدته المشهورة بعنوان: "الشكوى" والتي عبّرفيها عن حزنه على تدهور المسلمين، وقد جعل الربّ مسئولاً لهذه الحالة. فبدأ نشاطه الإبداعي يتطوّرمنذ ذلك الوقت أكثر فأكثر بحيث نجده يقوم كل عام بإبداع عمل فريد رائع، ونجد أيضاً أنّ الشاعر الغنائي الذي كان يُجلجل صوته بأغنية الحب والمعاناة، بدأ يتلاشى تدريجياً ويفسح المجال لظهور الفيلسوف والأخلاقي.

قد استخرج المذكّرة هذه ابنه الدكتور جاويد إقبال وقدّم لها ونشرها في عام 1961 م. ثمّ راجعها ووسّع فيها في طبعتها الثانية في عام 1992 م. وأحدث طبعة لها هي التي نشرت في عام 2012 م.

توفّر هذه المذكّرة نصوصاً تمكّننا من أن نكتشف حيوية ذهن محمد إقبال وثراءه واتّقاد عقله وخصوبته؛ فنحن نرى أنّه يهتمّ بعدد من جوانب الحياة ونواحيها، وبالتالي نتعرّف على آرائه حول موضوعات متنوعة كثيرة مثل الفن والفلسفة والأدب والعلم والسياسة والدين والنفس البشري العميق والحياة الانسانية الاجتماعية، وهو يشير أيضاً إلى الآثار النفسية للإمبريالية في شعب تمّ رِقّه.

إنَّ أسلوب محمد إقبال في هذه المذكّرة بسيطٌ ومباشرٌ للغاية ويتميّز بالقوة؛ فهو يعبّر عن أفكاره في بضع جمل أو فقرات عادةً. ورغم أنّه يكتب بالنثر إلاّ أنّ أسلوبه يمتاز بإيجاز الشاعر الذي يحاول

---

[8]. المرجع السابق نفسه: 5

أن ينقل المعاني والدلالات العميقة في كليمات ثرية. والمفاجأة في أسلوبه ميزة أخرى وأحياناً تسبّب الاندهاش وحتى الذهول لدى القارئ.

ويبرز محمد إقبال في هذه المذكّرة مفكّراً يفاجئنا باستمرار بما لا نتوقعه. وهنا تكمن قيمة هذا الكتاب المتمثّلة في أهميّته للمجالات الفكرية الفلسفية الثقافية لأناس مثقفين عموماً ولدارسي محمد إقبال على وجه الخصوص لأنّه يُطلعنا في هذه المذكّرة على جانبين مهمّين من حياته وشخصيّته؛ عن مرحلة ذات قيمة فكرية مرّ بها هو، وعن مشاعر و أفكار كانت تختلج في قلبه وعقله ليل نهار في تلك الحقبة من الزمن. فالمذكّرة هذه مصدر أساسيّ لهذين الجانبين من شخصيته الفكرية التي قد لا نجدهما في مصدر أو مرجع آخر.

2-2 طريقتي في ترجمتها العربية:

وقد اهتممت فى هذه الترجمة والتعليق عليها بأمور أذكرها هنا بإيجاز: فقد حاولت فى ترجمتي ألاّ أبتعد عن أسلوب النص الإنجليزي الأصلي مراعيًا فى ذلك نقل الدلالات العميقة متعددة النواحي التى تحتوي عليها أفكار محمد إقبال وكتاباته، ماعدا فى الأماكن التي صعب عليّ الالتزام بهذا النهج أى عدم الابتعاد من الأسلوب الأصلي ونقل الدلالات العميقة معًا؛ ففي مثل هذه المواقف فضّلت نقل الدلالة على الالتزام بالأسلوب الأصلي. وقد اعتنيت في الهوامش بتوفير التعليقات والمعلومات اللازمة عن الشخصيات وغيرها (بإشارة رمز: د.غ إليها في نهاية كلّ تعليق أو توضيح، والمراد به الدكتورغازي) التى ورد ذكرها فى هذه المذكّرة. وهي تسلّط ضوءًا على جوانب للموضوعات التى يعرضها محمد إقبال أو يتناولها بالمناقشة كما أنّها تساعد القارئ العربي فى فهم الخلفية والسياق اللذين لابدّ منهما أحيانًا لإدراك ما يقصده المؤلف.

والجدير بالذّكر هنا أنّني اعتمدت فى ترجمتي على الطبعة الثانية للأصل الإنجليزي التي نُشرت فى عام 1992م وذلك لأنّها تضّم ملاحظات وكتابات محمد إقبال الأخرى أيضاً التى تناثرت فى أوراقه ووثائقه المعروضة فى متحف[9] العلاّمة محمد إقبال. وقد اعتبر دارسو محمد إقبال تلك الملاحظات والكتابات جزءًا من هذه المذكّرة لأنّها تنسجم مع أسلوبها ومحتواها انسجاماً كبيراً. وألحقتُ بالكتاب المنشور صورة المخطوط الإنجليزي الأصلي للمذكّرة[10] أيضاً جرياً وفق جميع طبعات الكتاب الإنجليزي الأصلي ولعلّها- أي صورة المخطوط الإنجليزي الأصلي للمذكّرة- تجذب أنظار

---

[9] يقع المتحف في مدينة لاهور، وكان مبنى هذا المتحف منزلا اقتناه محمد إقبال وأقام فيه إلى أن توفّي ثمّ اشترته الحكومة الباكستانية في عام 1961م وحوّلته إلى متحف.

[10] شوارد الفكر: 191-270

المثقفين إليها عموماً واهتمام دارسيه خصوصاً وتؤدّي بهم إلى أن يتمتّعوا بقراءة خطّه ونواحيه المختلفة الّتي قد تُسفرعن بعض جوانب شخصيّته.

وقد ترجمت المقدّمة الإنجليزية التى كتبها ابنه الدكتور جاويد إقبال أيضًا، غير أنّنى لجأت فى ذلك إلى مبدأ الملائمة والمناسبة أى التزمت بترجمة كلّ ما يتّصل بفكر محمد إقبال عمومًا وبأفكاره التى جاءت فى هذه المذكرة على وجه الخصوص مستغنيًا في ذلك عن العبارات والفقرات التي لا تمت بصلة مباشرة إلى صلب موضوعات هذه المذكرة بطريق أو بآخر.

3- الصعوبات والتحدّيات:

ذكرت في تقديمي لترجمتي بعنوان "كليمات عن الترجمة والتعليق" أنّني سعدت وتشرفت بهذا العمل ذلك: "لأنَّ علاقتي بالعلامة مجمد إقبال تتّسم بميزات كثيرة أهمّها الحب العميق له والاستفادة الفكرية منه..[11] وأشرت أيضاً إلى أن العمل -أي الترجمة العربية والتعليق- الذي قمت به عظيم من جانبٍ؛ فهو عظيم للغاية لأنّه صدر من عقل أدبي رفيع وفكر فلسفي عبقري، كما أنّه متواضع من جانبٍ آخرلأنه يحتوي على محاولة متواضعة منّي لتقريب كتابٍ مهم جداً لشاعر الشرق إلى أذهان العرب"[12]. فهذا هو الإحساس الذي ظل مسيطراً على قلبي وذهني أثناء انجاز الترجمة؛ وأرى أنّ هذا الإحساس يفسح عن الصعوبات والتحدّيات اللغوية والأسلوبية التعبيرية التي شعرت بها، بالإضافة إلى صعوبات وتحدّيات تمتّ بالصلة إلى إدراك ما يدور في الأعماق الفكرية لدى العلّامة إقبال، ثم محاولة نقلها إلى اللغة الهدف التي تفترق في أنظمتها من اللغة المصدر[13].

وقد تحدّثت عن هذه الصعوبات وتلك التحديات تحت عناوين جانبية نستمدّ محاورها من بعض نظريات الترجميات أو دراسات الترجمة كما يلي:

3- 1 إطار الترجمة الحرفية والعقل المفكّر:

فضّلت استخدام مصطلح "الترجمة الحرفية" الذي يشمل جميع الجهات التي يناقشها علماء الترجميات في بيان المصطلحات العديدة مثل:

- word -for - word Translation
- Literal Translation
- Metaphrase

---

[11] راجع شوادر الفكر الترجمة العربية للمذكرة الشخصية الخاصة للعلامة محمد إقبال بعنوان: Stray Reflection ، ترجمة وتعليق: أ. د. إنعام الحق غازي، بيت الجلال للطباعة والنشر إسلام آباد، باكستان ص: 4-5

[12] المرجع نفسه

[13] وقد سجّل محمد إقبال الشعور الذي يشبه إحساسي في أحد الأماكن في هذه المذكرة: راجع: شوادر الفكر ص: 2

يرجع الفضل في استخدام المصطلح: word-for-word Translation إلى سيسرو (46 قبل الميلاد) وهوراس (65 قبل الميلاد) ولاسيما الأوّل منهما الّذي خالف هذا النوع من الترجمة التي هي عبارة عن عملية وضع كلمة من اللغة الهدف (اللاتينية) أمام كلمة من اللغة المصدر(الإغريقية) وذلك لأنّ الرومان كانوا يقرءون النصوص المترجمة مع النصوص الإغريقية الأصلية.[14]

على الرغم من أنَّ بعض[15]باحثي الترجميات يرى أن المصطلح هذا يساوي المصطلح: Literal Translation إلّا أنّ معظم الدراسين في هذا المجال يعتبره-أي word-for-word- أقصى درجات Literal Translationبحيث يتم كتابة كلّ وحدة معجمية للغة الهدف أمام كل وحدة معجمية للغة المصدر بغض النظر عن العوامل النحوية والتركيبية السائدة في اللغة الهدف؛ فمهمّة المترجم تقتصر على العملية الاستبدالية في مستوى المفردات والكلمات وربّما تقتصر على إبراز الخصائص التركيبية النحوية للغة المصدر[16].

وأمّا المصطلح: Literal Translation، فهو يستخدم في دوائر الترجميات بمفاهيم تقترب فيما بينها تارةً ويبتعد بعضها عن البعض تارةً أخرى. يرى كاتفورد أنّ: Literal Translation تبدأ من مرحلة word-for-word Translation بحيث تُوضع مفردة أمام مفردة، ثمّ تتقدّم، ومن الممكن أن يوضع تركيب أما تركيب أو مجموعة من البنود النحوية للغة الهدف أمام مجموعة من البنود النحوية للغة المصدر [17]. ويعني ذلك أنّ هناك درجات في حرفية الترجمة تتراوح بين وضع مفردات اللغة الهدف أمام مفردات اللغة المصدر وبين محاولة استيفاء تراكيب/ جمل للغة الهدف لتراكيب/ جمل للغة المصدر قدر الإمكان.

ويرجع المصطلح: Metaphrase إلى المترجم والشاعر الإنجليزي الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي أي درايدن، ويدلّ هذا المصطلح، وفق تصوره، على أحد الأنواع الثلاثة للترجمة وهي: Paraphrase Metaphrase وImitation .

ويعرّفه درايدن بأنّه عملية "تحويل مؤلف حرفاً حرفاً وسطراً وسطراً من لغة إلى لغة أخرى"[18].

---

[14] Introducing Translation Studies : 19 – 20

[15] وأبرزهم ويني ودار بلينت في كتابهما: Corporative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation

[16] A Linguistic Theory of Translation : 25

[17] المرجع نفسه

[18] انظر: Reading in Translation Theory : V

ويُدين دريدان هذا النوع من الترجمة قائلا: "لا يمكن أن تكون الترجمة لفظية وجيدة في الوقت نفسه"۔[19]

فهذه الأنواع من الترجمة تبدو وكأنها تشير إلى ظاهرة واحدة غير أنَّ هذه الظاهرة تتخذ أشكالاً وصوراً متعددةً في ضوء العوامل مثل علاقة اللغة المصدر باللغة الهدف، ونوع النص المترجم وأهداف الترجمة۔

فمصطلح 'الترجمة الحرفية' يستوعب نواحي عديدة و مستويات متنوعة لهذا النوع من الترجمة. و أنا بدوري مترجما لمذكرة العلامة محمد إقبال هذه واجهتني جميع هذه النواحي و المستويات؛ فوجدت نفسي مضطراً إلى ما يمكن أن نسمّيه 'الترجمة الحرفية مع مراعاة أسلوب اللغة الهدف' و لا سيما الأماكن –و هي كثيرة جداً- التي تحتفل بفكره الفلسفي العميق و المليء بالإشارات التاريخية الثقافية العربية. و فيما يلي أذكر أمثلة لذلك:

يقول العلامة محمد إقبال متحدّثا عن الفنّ:

"Art a is sacred lie."[20]

وقفت أمام هذه الكلمات الأربع طويلاً وحاولت أن أراعي النص المصدر هذا وفكر العلامة محمد إقبال وكذلك المتلقّي العربي۔ والغرض من مراعاة هذه العوامل الثلاثة هو الإحساس بمسئولية نقل ما يريده صاحبنا؛ ففهمت أنّه ربّما يقصد عنصر المبالغة الشديدة في الفن والأدب، ولكنه يرى أنَّ هذه المبالغة، التي تمسّ حدود الكذب أيضا، شئ تحتاج إليه المجتمعات البشرية لهدف الفن النبيل السامي ودوره الجوهري في التقدّم الفكري والثقافي لدى الأمم والشعوب وبهذا يصبح الفن شيئا مقدّسا. فالعقل المفكّر يريد أن يعبّر عن كلّ ذلك في كليمات وهو يكتب في المذكّرة ويستخدم هذه الكلمات الأربع، وأما المترجم-على الرغم من أنه يحاول أن يراعي العوامل الثلاثة المشار إليها آنفا- فهو يلجأ إلى الترجمة الحرفية مراعياً الطقوس التركيبية العربية وهي:

''الفنّ كذب مقدّس''[21]

يكتب مفكرنا حواراً[22] بين العقل والقلب في مذكّرته بحيث يؤكد القلب إيمانه القويّ بـ"وجود" الخالق قائلاً: "من المؤكد دون شك مطلقاً أنّ الإله "يوجد" فيعترض العقل على القلب لأنّه

---

[19] المرجع نفسه

[20]. Stray Reflections: 25

[21] . شوارد الفكر: 19

[22] . Stray Reflections

استخدم مقولة "الوجود" في كلامه هذا، إذ "الوجود" إحدى مقولات العقل. فيردّ القلب على ذلك قائلًا:

"So much the better my Aristotle"[23]

يريد الكاتب بوسيلة القلب أن يسخر من محدودية العقل، فجاء بأسلوب المدح الذي يوحي بالذمّ، إذ يقول القلب بأنّ الوجود الذي أقصده أنا هو غير الذي تقصده أنت أيّها المصاب بالمحدودية! ويستحيل لك أن تدركه لأنّك مسجون في دوائر الوجود الملموس الذي تشعربه أوتراه بحواسك الخمسة وتظنّ أنك تدرك الحقيقة الكلية بمساعدة هذه الحواس. وبعبارة أخرى يريد القلب أن يقول له أنت في وادٍ وأنا في وادٍ آخر. وإذا أراد المترجم أن يستهدف الترجمة المعنوية أو الحرّة يمكنه أن يتحرّر من المفردات المستخدمة في هذه الجملة وترتيبها وتركيبها ويستقي الفكرة بعينها فقط ويحاول أن ينقلها بأحد الأساليب التي يراها ملائمة مثل:

- يا له من حمق!
- مستواك الإدراكي ضئيل، فلا يمكن الاتصال بيننا!

يتحدّث شاعرنا عن النشورأوالبعث الجسدي بعد الموت[24] ويُشير إلى كتابٍ عثرعليه وقرأ فيه عن هذا الموضوع بحيث يناقش المؤلف هذه القضية فى ضوء ما استجدّ من البحوث في العلوم الطبيعية مستخدماً نظام "بولى" [25] المنطقي. يقول العلامة إقبال:

"وبعد مناقشة أفكاره (أي جورج بولي) حول الزمان والمكان والحياة في ضوء النظرية النسبية الحديثة، يُشير المؤلف في بابٍ بعنوان: "الحقيقة اللامكانية" إلى النشور الجسدي وإمكانية حدوثه؛ وأنا متأكد أنّ قراءة هذا الباب تهمّ الإحياء الإسلامي"[26]- ثم ينقل فقرة من الباب المذكور أعلاه، وتحتفل هذه الفقرة المقتبسة بأفكار منطقية رياضية علمية معبّرة بأسلوب فلسفي. وعندما واجهتني صعوبات ترجمة بعض الجمل فيها، وجدت نفسي مضطراً إلى الترجمة الحرفية مع مراعاة أسلوب اللغة الهدف وذلك لأنّ الحاجز الذي دفعني إلى هذا المأوى هو انغلاق الأسلوب الفكري الفلسفي من ناحية وعدم نجاحي في كشف المعاني العميقة المقصودة في ذلك الكلام من ناحية أخرى- انظر المثال التالي:

"… there is nothing, in the light of these reflections, to hinder the monads from adopting the right 'time and tune' that would enable it once more to

---

[23] المرجع السابق نفسه

[24]. Stray Reflections: 164-168

[25] يعزى نظام بولي المنطقي إلى جورج بولي، أحد الرياضيين الإنجليز المشهورين في القرن التاسع عشر

[26] . Stray Reflections: 164

respond to one and all of the monads that had served as the chamber of its material environment".[27]

وترجمتي هي:

"... ففي ضوء هذه التأملات، لا يوجد شئ يمنع الجواهر من تبنّي "الوقت والانسجام" الصحيحين اللذين من شأنهما أن يمكنّاها من الاستجابة مرة أخرى إلى كل عنصر من العناصر التي خدمتها بوصفها غرفة لبيئتها المادية"[28]. فالترجمة العربية هنا محاولة نقل ألفاظ اللغة المصدر إلى اللغة الهدف مع مراعاة الأسلوب الترجمي الذي يتبع العربية. وانظر الترجمة التالية التي تحرّرفيها المترجم (وهو أنا) من قيود الأنظمة اللسانية للنص المصدر:

ففي ضوء التأمّلات التي مضت قبل قليل، يمكننا أن نستنج أنّه من الوارد أن تجتمع هذه الجواهر في "وقت وانسجام" صحيحين وبالتالي تتّخذ هيكلها السابق الذي عاشت فيه قبل ذلك.

2-3 التكافوء الترجمي والترجمة العربية لمذكّرة العلامة إقبال:

يتردّد مصطلح التكافؤ (Equivalence) في مجال دراسات الترجمة كثيراً بحيث يستخدمه عدد كبير من الباحثين ليدلّ على نوع العلاقة بين اللغة المصدر واللغة الهدف أو بين الوحدات اللغوية التي تنتمي إلى اللغتين المصدر والهدف. ونتيجةً للمناقشات بين علماء الألسنية والترجميات في تحديد هذا المصطلح أو وصفه، نشأت وجهات النظر التي تؤدّي بالباحثين إلى خلافات وتصورات معقّدة: فيعرّف كاتفورد (Catford J.C) -على سبيل المثال- هذا المصطلح بأنّه "إحلال المادّة النصّية في لغة (اللغة الهدف) محلّ المادة النصية للغة الأخرى (اللغة المصدر)[29]. ويؤكّد أنَّ "أحد مهام نظرية الترجمة الجوهرية هي تحديد مفهوم التكافؤ الترجمي ونوعه وظروفه"[30].

وتعلّق باحثة، وهي ماري سنيل هارنبي(Mary Snell-Hornby)، قائلةً بأنَّ التصور للتكافؤ الترجمي هذا "يفرض درجة من التناسق بين اللغات ... بل يؤدّي إلى تشويه المشكلات الأساسية للترجمة"[31]. بحيث يُضيّق العملية الترجمية في دائرة النشاط اللساني مهملاً العوامل السياقية والثقافية والمقامية الأخرى التي لها دور أساسي في الترجمة.

---

[27] . المرجع السابق: 165

[28] . شوارد الفكر: 185

[29] A Linguistic Theory of Translation : 21

[30] المرجع نفسه

[31] Translation studies : An Integrated Approach : 16. 22

والجدير بالملاحظة أنّ المناقشة البحثية حول فكرة التكافؤ أوالتكافؤ الترجمي جعلت عدداً من الباحثين يقسّمون التكافؤ بالنظر إلى نواح مختلفة مثل الوحدة الترجمية ودرجة التكافؤ وطبيعته وغيرها.

ويمكننا أن نلخص أهمّ هذه الأنواع فيما يلي بإيجاز شديد:

يقسم يوجين نيدا(Eugene A. Nida) التكافؤ إلى الديناميكي والشكلي[32] بينما يوزّع أُتوكيد (Otto Kade) التكافؤ إلى أربعة أنواع وهي الكلّي (الواحد للواحد) والمخيّر(الواحد للكثير) والتقريبي (الواحد للجزء) والصفر(الواحد للاشيء). ويأتي كولر(W. Koller) بالتصنيف الأوسع الذي يشتمل على الدّال على المعنى والمتضمّن المعاني الإضافية المقصودة والخاص بنوع النص والتداولي والشكلي الجمالي[33]. ونظراً إلى التعقيدات في هذه التقسيمات وكذلك نظراً إلى مصطلح التكافؤ نفسه، يفضّل بعض الدارسين في الترجميات استخدام المصطلحات الأخفّ مثل التشابه والقياس والتعادل أوالتلاؤم[34].

ففي ضوء الصور المتعددة للتكافؤ، نستيطع أن نقول إنّه من أهمّ الأفكار وأبرزها في مجال الترجميات التي صرف الدارسون طاقاتهم وهممهم في بحوثهم ودراساتهم ولا سيّما من الناحية اللغوية؛ الأمر الذي يعكس ما يشغل ذهن المترجم دائماً في العملية الترجمية، إذ يسيطرعليه البحث عمّا يعادل النص المصدر من مفردات ووحدات تركيبية ودلالية وما شابه ذلك. وقد مررت بنفس التجربة إذ ظللت ألتمس إلى أنسب مفردة وتركيب وأسلوب يعبّر عن المفردات والتراكيب والأساليب الواردة في الأصل الإنجليزي، وأذكر فيما يلي أمثلةً لجأت فيها إلى نوع من أنواع التكافؤ الترجمي الكثيرة:

وردت في المذكرة فكرة تحتوي على سطر واحد تالٍ:

"Hegel's system of philosophy is an epic poem in prose."

فترجمتها إلى العربية كما يلي:

"إن نظام هيغل الفلسفي ملحمة، تمّ تأليفها بالأسلوب النثري".

فالمقارنة بين العبارة التي تحتها خطّ في النصين الأصلي والمترجم إليه، توضّح أنّ المترجم هنا يسعى إلى الإتيان بالتركيب الّذى ينقل الدلالة بطريقة واضحة؛ فبدلاً من أن يترجم ما تحته خط بـ:

---

[32] انظر للتفصيل: Toward a science of Translation

[33] - راجع للمزيد من هذه الأنواع: Reading in Translation Theory و Introducing Translation Studies : 46 - 47

[34] - انظر: للتفصيل: Translation Norms and correct Translation : 157

قصيدة ملحمية في النثر، لجأ إلى البحث عمّا يعادل الأصل في المعنى، فجاء بكلمات يراها ملائمة للتعبيرعن المقصود الدلالي وهي:

"...ملحمة، تمّ تأليفها بالأسلوب النثري" وذلك لأنّ قصد المؤلف لا يتّضح بترجمة حرفية. والمعلوم أنّ هذا النوع يُسمّى التكافؤ الديناميكي كما سبق أن أشرت إليه.

و من أمثلة التكافؤ الديناميكي أيضاً ما قاله العلامة محمد إقبال في مذكرته وهو يتحدّث عن إمكانية الخلود الشخصي مؤيّدا الفكرة القائلة بأنّه أي الخلود يكمن في أيدي الإنسان.[35] و قد جاءت العبارة التالية في كلامه في هذا الموضوع:

"How then can we manage to secure the continuance of this circle"[36]

فكان من الممكن أن يُترجم الفعل: manage بإحدى المفردات التالية:

ندبّر/ نُدير/نستخدم /نستعمل [37]. ولكنّي فضّلت الفعل: 'نضمن' [38] على الاحتمالات الأخرى وذلك لأنّني رأيت أنّ استخدام الفعل الآخر-غيرالّذي استخدمته- لا يؤدّي المعنى المقصود رغم أنّ الترجمة الرجعية للفعل الذي فضّلته يذهب بنا إلى المعنى الأبعد بكثير. فالتكافؤ الديناميكي وفّر لي حلاً لا بأس به -في نظري- لترجمة الفعل الوارد في هذه العبارة ولا سيّما إذا راعينا السياق الكلّي لما كتبه العلامة محمد إقبال حول الخلود الشخصي.

3- 3 نظريات "التحوّل" و آثارها في ترجمتي:

يُعتبركاتفورد (Catford J.C) من أبرزباحثي الترجميات في القرن العشرين، وهوالأوّل من وجّه الأنظار إلى هذه الظاهرة الترجمية أي التحوّلات التي تحدث خلال ترجمة نص من لغة إلى لغة أخرى. ويمكننا أن نقول إنَّ التركيز في دراسة التحوّلات يكون في النص الهدف أصلاً. يقول كاتفورد معرّفاً التحولات هي: "الابتعاد عن التعادل الشكلي في عملية نقل النص المصدر إلى النص الهدف"[39]. وقد ناقش كاتفورد عدداً من الأنواع للتحول بتسميات مختلفة توحي بأنها تقتصرعلى التحولات اللسانية فقط. وأمّا الأنواع لديه، فهي "تحوّل المستوى" المتمثّل في صور مثل تحول بند نحويّ للنص المصدر إلى وحدة معجمية للنص الهدف. والنوع الثاني هو "تحوّل النوع" الذي ينقسم إلى أربعة أقسام وهي "التحوّل التركيبي" و"تحوّل الدرجة" و"تحوّل الوحدة" و"تحوّل الأنظمة

---

[35] . انظر: Stray Reflections: 35-36

[36] . المرجع السابق: 35

[37] . المورد: 555

[38] . شوارد الفكر: 33

[39] A Linguistic Theory of Translation: 73

الداخلية"[40]. وثمة علماء الترجميات قد وسّعوا مفهوم التحوّل أو التحوّل في التعبير: يعرّف بوبوويك (Popovic) التحوّل قائلاً هو : "كلّ ما يبرز جديداً في النص الهدف بالنسبة للنص المصدر أو كلّ ما يُخفق في البروز في النص الهدف الذي كان عليه أن يظهر فيه"[41]. فلم يكتف بوبوويك بذكر التحولات اللسانية، بل أدخل فيه التحولات التي تتمّ بالنظر إلى العوامل الأدبية والثقافية وغيرها التي تجعل المترجم أن يراعيها خلال العملية الترجمية أو يرى المترجم أنّ مراعاتها تؤدي إلى تحسين ترجمته؛ فالدائرة تتوسع بهذا المفهوم للتحولات بحيث تشمل-على سبيل المثال لا الحصر- فكرة قبول الترجمة لدى القارئ وملائمة الترجمة وصنع القرار من قبل المترجم.

و أنا بدوري مترجماً للعقل الكبيرهذا -أي كتابات العلامة محمد إقبال في مذكرته-لجأت إلى تحولات عديدة في التعبير يُشبه بعضها بعض الأنواع التي ذكرها كاتفورد بينما يدور بعضها الآخر في الدائرة الموسّعة للتحولات التي تحدّث عنها بوبوويك والتي أشرت إليها آنفا[42]. و فيما يلي أذكر بعض الأمثلة للتحولات في ترجمتي بحيث وفّرت لي الحلول الترجمية للنصوص الإنجليزية في هذه المذكرة:

يعبّرالعلامة محمد إقبال عن رأيه حول أرسطاطاليس في إحدى الأفكار الواردة في مذكّرته [43] و يُثني عليه لأنّه معجب بأفكاره وإسهاماته إلاّ أنّه –أي محمد إقبال- ينتقده أيضاً لأنّه اختار أسلوباً غير ملائم في نقده لأفكار أستاذه أفلاطون. فيقول في هذه الفكرة:

"…but also because of his vast influence on the thought of my people…"[44]

كان من الممكن لي كمترجم أن أنقل هذه العبارة إلى العربية بطرق مثل:

- لأجل تأثيره الواسع في أفكار شعبي أيضاً
- لأنّ تأثيره واسع في فكر أمتي كذلك

---

[40] يقصد بالتحول التركيبي التغييرات التي تحدث في تركيب النص الهدف ومواقع الكلمات فيه يختلف هذا التركيب من النص المصدر ومواقع الكلمات فيه ومثال تحول الدرجة في العربية تحول التركيب الوصفي إلى التركيب الإضافي والإشاري، وأمّا تحوّل الوحدة فهو عبارة عن الانحراف عن التعادل في الوحدات مثل أجزاء الجملة والجموعات والمفردات. والنوع الرابع أي تحوّل الأنظمة الداخلية يشير إلى – مثلاً – كلمة مفرد تدل على الجمع في اللغة المصدر ولكن خلال نقلها إلى النص الهدف تترجم بالجمع نظراً إلى معناها دون الشكل.

[41] The Nature of Translation: 85

[42] . انظر للتفصيل: The Nature of Translation: 85 و ما بعدها

[43] . Stray Reflections: 53

[44] . المرجع السابق نفسه

ولكنّني رأيت أنّ هذه الترجمة الحرفية مع مراعاة قواعد اللغة الهدف أو الالتزام بالتكافؤ الترجمي الشكلي أو محاولة الاقتراب بالنص الأصلي [45] أو اللجوء إلى الترجمة المعنوية / الحرة، فرأيت أنّ كلّ ذلك لا يذلّل صعوبتي؛ فترجمتها كما يلي:

"بل لأنّه أثَّر تأثيرا واسعا في فكر الشعب الذي أنتمي إليه أيضا..."[46]

فالتحولات في ترجمتي ملحوظة بطريقة بارزة؛ فقد حوّلت التركيب الاسمي: his vast influence إلى التركيب الفعلي باستخدام الفعل الماضي و جعل التركيب الاسمي مفعولا مطلقاً يتبعه نعت حتى يكتمل المعنى. وكذلك فعلته في الجزء التالي أي: thought of my people الذي ترجمته بـ "فكر الشعب الذي أنتمي إليه". وهذا التحوّل يذكّرنا بالدائرة الموسّعة للتحوّلات التي شرحها بوبوويك بحيث تؤدي التحولات إلى أسباب كثيرة مثل أن تكون الترجمة ملائمة ومقبولة وأن تتحسن الترجمة في ضوء العوامل النصية للغتين المصدر والهدف والعوامل غير النصية السياقية المحيطة بهما.

والمثال التالي لترجمتي يتّصل أيضا بالدائرة الموسعة للتحوّلات التي تتضمّن التحوّلات اللغوية وغيرها:

يتحدّث العلامة محمد إقبال عن موقف الإسلام من عبادة الأصنام، ثم يربط هذا الموقف بفكرة الوطنية ويرى أنّ الوطنية بالمفهوم السائد تشبه عبادة الأصنام، بل إنّه يسمّيها "تأليه الكائنات المادية"[47]. وترد الجملة التالية في هذا السياق:

"...what was to be demolished by Islam could not be made the very principle of its structure as a political community..."[48]

فترجمت هذه العبارة كما يلي:

"والظاهرة -أي عبادة الأصنام- التي كان من المفترض أن يدمّرها الإسلام، لم يتم نزعها من جذورهيكلنا السياسي".[49]

لاحظ الإضافات في الترجمة أي: الظاهرة وعبادة الأصنام، وكذلك لاحظ التحوّلات التي حدثت في ترجمة بقية العبارة:

---

[45] . و هو الذي اخترته أساسا لترجمة هذه المذكرة. راجع شوارد الفكر: 5

[46] . شوارد الفكر: 48

[47] . Stray Reflections: 41

[48] . المرجع السابق نفسه

[49] . المرجع السابق نفسه

فالترجمة تعبّرعن: Could not be made بطريقة عكسية مضادّة بحيث تقول: "لم يتم نزعها" بدلاً من: 'لم يتم جعلها'. وتمّت ترجمة: very principle بـ: "جذور" بدلاً من: 'مبدأ أساسي' و كذلك ترجمة: of its structure أي "هيكلنا" بالتحول في الضمير بدلاً من: 'لهيكله' ، وبذلك حذفت ترجمة: community. فالتحولات متعدّدة و متنوّعة اضطررت إليها لأنّي رأيت أنّ الترجمة لن تؤدّي دورها إلّا بها.

3- 4 الترجمة الحرّة وموقفي في ترجمة المذكّرة:

إنَّ فكرة الترجمة الحرّة Free-Translation أوالترجمة المعنوية:Sense-for sense Translation تتزامن مع فكرة الترجمة اللفظية/الحرفية التي ناقشناها قبل ذلك. والترجمة المعنوية/ الحرّة عبارة عن إنتاج النص الهدف الذي يبدو فطرياً للقارئ وكأنّه ألّف في لغته هو. ومن الممكن أن نقول- بألفاظ أخرى- إنّ الترجمة الحرّة / المعنوية تستقي المحتوى من النص المصدر وتنقلها إلى النص الهدف محتفظة بالمعنى كلّه ومراعية التراكيب والأساليب والقواعد اللغوية السائدة في اللغة الهدف دون اللغة المصدر. ومن الممكن لنا أن نبحث عن التشابه-حتى ولوالجزيء- بين الترجمة الحرة /المعنوية من جانب وبين المصطلحات الأخرى الدائرة في الترجميات مثل التكافؤ الديناميكي (Dynamic Equivalence) لدى نيدا والمحاكاة: Imitation لدى درايدن (Dryden)[50]. والجدير بالذكرهنا أنّ بعض الباحثين الذين غاصوا في هذه الظاهرة من ناحية أوأخرى، توصّلوا إلى عناصرها وبالتالي جاءوا بتسميّات أوسع تتّسع لدراستها بطريقة منهجية أكثر[51].

وهنا أودّ أن أوضّح –بادئ ذي بدء- أنّني تجنّبت هذا النوع من الترجمة أساساً بحيث يتحرّرالمترجم من قيود اللغة المصدر اللسانية والأسلوبية وينقل المعنى بأسلوب و طريقة يراهما ملائمين للغة الهدف أومقبولين لدى المتلقي. و قد وضّحت ذلك في مقدمة[52] لي للترجمة العربية لهذه المذكرة.

وعلى الرغم من ذلك كلّه، وجدت نفسي أحاول أن أتحرّر-إلّا أنّه نادر- من النص المصدر وقيوده بنوع من الاستحياء بحيث أجد نفسي بعد ذلك أعود إلى طريقتي الأصلية للترجمة. ولعلّ المثال التّالي يبيّن هذه الحالة الترجمية النفسية التي مررت بها بوعي و بلا وعي:

---

[50] انظر: Reading in Translation Theory : 7-8

[51] انظر مثلاً فكرة الترجميات وفق النص الهدف: Target Oriented Translation Studies والترجمة الفردية: Idiomatic Translation في الكتابين:

In search of a theory of Translation

Translating the word and God

[52] . راجع شوارد الفكر: 5-6

سجّل العلامة محمد إقبال أفكاره حول تعدّد الزواج[53] بحيث ناقش القضية من النواحى الفيسيولوجية والنفسية والسياسية والاجتماعية ذاكراً ما كان يحدث في أوربا خلال عصره، ففي البداية يقول:

"The institution of polygamy was never meant to be a universal institution"[54]

وقفت أمام كلمة: universal في هذا السياق، ورغم توافر الكلمات العربية في مقابلها أي: شامل، عالمي، كليّ، كونيّ وغيرها، لم يطمئنّ شعوري الترجمي بإحداها. فخرجت من القيود التعبيرية للنص المصد رووجدت أنّني أفضّل أن أترجمها كما يلي:

"... مؤسّسة تعمّ في كل مكان و زمان..."[55]

فالتحرّرأوالتركيزعلى المعنى هنا واضح جداً ، و لكنّه لم يتمّ إلّا بعد اللجوء- ولوجزئياً وباستحياء- إلى نوع الترجمة الذي يُعرف بالترجمة المعنوية/ الحرّة في مجال الترجميات.

5-3 نظريات "التحوّل الثقافي والأيديولوجي" و نقل نص إقبال إلى العربية:

يُقصد بـ: "التحول الثقافي والأيديولوجي " : Cultural & Ideological Turn في الدراسات الترجمية، ذلك المصطلح الذي اخترعته سنيل هورنبي (Mary Snell-Hornby) في أحد مقالاتها [56] والذي يعني التوسعة أو التغيير في مجرى البحوث والدراسات الترجمية بحيث بدأ العلماء والباحثون يخرجون من الإطار اللساني للترجمة إلى ما يحدث حولها ويفحصون العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والأيدولوجية والمادّية التي لها تأثير كبير في العملية الترجمية بمكوناتها المختلفة مثل المترجم والترجمة والمتلقي وما إلى ذلك من أمور. فثمرة هذا الاتجاه ظهرت في ثوب نظريات كلّها تدورحول فكرة المؤثّرات الخارجية. وأشير إلى أهمّ تلك النظريات فيما يلي باختصارٍ شديد:

- نظرية الترجمة بوصفها إعادة الكتابة: Translation as Rewriting التي طرحها وشرحها ليفيفير(A. Lefevere)[57] والتي تسفرعن آثار السلطة والأيدولوجية والمؤسسة والتصرّف في الترجمة الأدبية وعمليّتها[58]. ويرى ليفيفير أنّ الذين يشاركون في إعادة الكتابة هم

---

[53] . Stray Reflections: 68

[54] . المرجع السابق نفسه

[55] . شوارد الفكر: 64

[56] . Translation, History and Culture

[57] . راجع للتفصيل: Translation, Rewriting and the manipulation of literary Feme

[58] . المرجع السابق نفسه ص: 2

النقّاد والمراجعون والمؤسسات التي تمدّ العون للعملية الترجمية مادّيا وأيدولوجياً واجتماعياً بالإضافة إلى التقاليد السائدة في الدوائر الأدبية للغة الهدف.[59]

- الترجمة و الجنس: Translation and Gender من تلك النظريات المشار إليها آنفا. وتنبع هذه النظرية من دراسات الجنس في الإنثروبولوجيا التي أسفرت عن الخصائص المتميّزة لكلّ جنس. وتُعزى أولى الكتابات والمؤلفات وأبرزها بهذا الصدد إلى بعض الكاتبات الكنديات اللواتي أسهمن في تطبيق النظرية النسوية في مجال الترجمة؛ فهذه شيري سيمون (Sherry Simon) -الدارسة والمترجمة الكندية- تنتقد التحيّز الجنسي في مجال دراسات الترجمة حيث يسيطرعليه العناصر الذكورية [60] وبالتالي تؤيّد استخدام الوسائل والطرق في ممارسة الترجمة التي تساعد على بروزالأنثوية في الأعمال الترجمية. و قد سمّت ذلك "المشروع الترجمي الملتزم" (Committed Translation Project) . فالمترجم أو بالأولى المترجمة التي تترجم النصوص وفق هذا "المشروع" تسعى بأقصى جهدها إلى دمج الهوية الأيدولوجية النسوية في عملها مستخدمة وسائل لسانية وترجمية وثقافية لتحقيق الهدف. وتصبح ممارسة الترجمة آنذاك نشاطاً سياسياً بحيث تمثّل اللغة الهدف النزعات النسوية. [61]
- و تركزالدراسات في إطار نظريات الترجمة ما بعد الاستعمار Postcolonial) (Translation Theories على العلاقة غير المتساوية بين اللغات القوية المهيمنة واللغات الضعيفة المضطهدة والنشاطات الترجمية بينها. وقد تتمّ الدراسة في التاريخ بحيث تُدرس النصوص المترجمة بالنظرإلى العلاقات السياسية والثقافية التي سادت بين الشعبين أواللغتين المصدر والهدف، وكذلك قد تكون الدراسة في ما يحدث الآن في نقل النصوص بين اللغات القاهرة واللغات المقهورة.[62]
- ويتضمن فكرة " التحوّل الثقافي والأيدولوجي" عدداً من النظريات الترجمية الأخرى التي تماثل النظريات السابقة الذكر في بعض العناصر أوتختلف منها في كثير من المكونات ولكن الفكرة الأساسية تظلّ كما هي في كل منها أي دراسة الآثار والمؤثرات الخارجية التي ترد على العملية الترجمية بجميع عناصرها وأركانها، وليست لها علاقة بالمكونات

---

[59] . المرجع السابق: 8-66

[60] . Gender in Translation: 1

[61] . انظر للتفصيل المرجع السابق: 2-15

[62] . انظر للتفصيل: Translation Studies Reader:

اللسانية للغة ما؛ فنظرية الترجمة بوصفها أجندة سياسية، ونظرية التوطين والتغريب، و نظرية الشبكة المسيطرة لدور النشر أمثلة أخرى لـ: "التحول الثقافي والأيدولوجي " في مجال الترجميات. ففكرة "التحول الثقافي والأيدولوجي" هذه تضمّ- كما رأينا- مؤثّرات وعوامل خارجية كثيرة تلعب دورها في العملية الترجمية بمعناها الشامل.

وقد واجهتني صعوبات وتحديات في بعض الأماكن، جعلتني أميل إلى التصرّف نتيجة للأيديولوجية التي أتمسّك بها كمسلمٍ و باكستاني. وفيما يلي أذكر مثالًا لعلّه يوضّح التحدّي الذي واجهني ونتيجة محاولتي للخروج منه:

تحدّث العلامة محمد إقبال في مذكرته عن فكرة الحرية للمرأة المسلمة وعن الذين ينادون بها. وقد استخدم كلمة: prophets[63] مرتين في تلك الفقرة. و أنا خلال ترجمتي لهذه الكلمة الإنجليزية والحسّاسة بالنسبة لنا المسلمين والعرب- إذ هي كلمة قرآنية مع دلالات وإيحاءات خاصة- فأنا فكّرت في الكلمات العربية المتوافرة لها مثل: نبيّ، رسول، شاعر ملهم، معلّم، متنبّئ بالمستقبل[64] وشعرت بأنّها لا تحل مشكلتي ولا تنقذني من هذا التحدي. فأخيراً فضّلت كلمة: "الدُعاة" كما يلي:

"يظنّ دعاتنا الشباب في مجال الإصلاحي الاجتماعي...."[65]. ونجاحي هذا في الخروج من الصعوبة لم يُسعفني في مكان آخر في المذكرة: كتب العلامة محمد إقبال جملة صغيرة واستخدم فيها كلمة: A prophet أيضاً حيث قال:

"A prophet is only a practical poet"

فمررت بنفس العملية هنا وفكّرت كثيرا حتّى أتجنّب استخدام كلمة: "نبيّ" في ترجمتي، فحاولت أن أتخلّص من هذا المأزق الترجمي وذلك لاعتقادي بأنّ العلامة محمد إقبال لا يقصد ما يظهر من العبارة المكتوبة ولكن رغم ذلك كلّه لم أتمكّن من مفردة تفي بغرض دلالي يقصده مفكّرنا العظيم؛ فاستخدمت كلمة: نبيّ مع التوضيح في الهامش.[66]

4- النتائج:

أسجّل فيما يلي أهمّ ما توصّل إليه هذا البحث من استنتاجات ونتائج وما شابه ذلك:

---

[63] . Stray Reflections: 11

[64] . المورد: 730

[65] . شوارد الفكر: 116

[66] . انظر الترجمة الكاملة و توضيحي في الهامش: شوارد الفكر: 118

1-4 عاش النابغة الفكري العلامة محمد إقبال في عصر يتميّز بإيجابيات وسلبيات كثيرة؛ فقد كان المسلمون فيه تحت سيطرة الاستعمارالأوربي. ودفعهم هذا الاستعمار إلى التجديد الفكري والشعو بمواطن الضعف فيهم الذي أدّى بهم إلى هذه السيطرة الفكرية السياسية. وقد سعى محمد إقبال إلى هضم الثقافة الغربية بجميع مرافقها بالإضافة إلى فهم الثقافة الإسلامية فهماً عميقاً نقدياً جعله يلعب دور المفكر الناقد والمصلح النافذ البصيرة لما كدر المجتمعات الإسلامية فكرياً و فلسفياً.

2-4 لا يمكن فهم فكر العلامة محمد إقبال إلّا بعد إدراك العوامل والعناصر المتنوعة التي أسهمت في تكوينه الفلسفي والفكري؛ فجميع ثماره وإنتاجه و كتاباته ينبع من فكره الجوهري الأساسي المعروف بـ "الخودي" (أي معرفة الذات و تقويتها).

3-4 المذكرة الشخصية بعنوان: Stray Reflections للعلامة محمد إقبال تمثّل فترة مهمّة من فترات التكوين الفكري لديه؛ فكان يعاني من المشاكل المالية ولكنّه في نفس الوقت لم يرض أن يتخلّى عن حريّته الفكرية. وعلى الرغم من أنّه عُرضت عليه وظيفة حكومية محترمة ولكنه رفض لأنّها تفرض عليه شروطاً تضع الحدود على حريّته في التعبير. وبالإضافة إلى ذلك، يظهر إقبال في هذه الفترة من خلال خطاباته إلى بعض أصدقائه، في صورة رجل ملئ بالمرارة والإحباط بسبب الضغط القمعي للعادات الاجتماعية السائدة في بيئته مثل النفاق و ضيق الأفق الفكري.

4-4 الطريقة التي اتبعتها في ترجمتي العربية للمذكرة تتلخص في النقاط التالية:

- عدم الابتعاد عن أسلوب النص الإنجليزي أساسا.
- و إذا صعب ذلك، فضّلت نقل الدلالة المضمونة على الالتزام بالأسلوب الأصلي.
- توفير التعليقات والمعلومات عن الشخصيات وغيرها في الهوامش.
- اخترت الطبعة الثانية، رغم وجود طبعات تالية لها، للأصل الإنجليزي لأنّها تضمّ ملاحظات وكتابات العلامة محمد إقبال الأخرى أيضا والتي تناثرت في أوراقه ووثائقه المعروضة في متحف العلامة محمد إقبال بلاهور، باكستان.

5-4 واجهتني صعوبات وتحديات خلال الترجمة وفضلت أن أتحدث عنها في ضوء نظريات الترجمة المشهورة والتي تمتّ بصلة وثيقة لما مررت به من صعوبات وتحديات.

6-4 يمكننا أن نضع هذه النظريات في صنفين أحدهما يناقش الأمور الترجمية من الناحية اللغوية أو المقارنة اللسانية بين النصين أو اللغتين المصدر والهدف. وثانيهما يتناول تلك المؤثرات والعوامل والآثار التي لا تتّصل بالعناصر اللغوية، وإنّما تأتي من خارج هذا

الإطار مثل الأيديولوجية والسيطرة والاستعمار و التقاليد والعقائد والجنس وما إلى ذلك من عوامل لها تأثير في العملية الترجميةَ.

7-4 من ميزات العقل العبقري أنّه يحاول، ولا سيما في مثل هذه الكتابات الموجزة، أن يعبّر عن فكرة ما ببضع كلمات غير أنّ الفكرة نفسها تتضمن نواح متنوعة؛ فكأنّه يحاول أن يجيب على أسئلة تنبع من عبارة يصوغها أو يمكن أن نقول- بألفاظ أخرى- إنّه يحاول أن يصطاد عصافير فكرية متعددة برصاصة واحدة. وإقبالنا ليس بدعاً في ذلك. وهذا هو العنصر الذي جعلني أقف أمام صعوبات وتحديات ترجمية كثيرة.

8-4 على الرغم من أنّني وضعت لي طريقة معينة للترجمة أي الالتزام بالأسلوب الإنجليزي أساساً والانحراف منه إذا مست الحاجة وذلك أيضا في حدود ضيقة، فعلى الرغم من ذلك لجأت- بالإضافة إلى الترجمة الحرفية مع مراعاة أسلوب اللغة الهدف وبالإضافة إلى البحث عن التكافؤ الشكلي- إلى التكافؤ الترجمي الديناميكي والتحولات اللغوية والترجمة المعنوية وكذلك إلى أشكال من النظريات التي نشأت من أجل دراسة "التحول الثقافي" بمفهومه الترجمي الشامل.

9-4 لا يمكن لمترجم هذه المذكرة أن يدّعي بأنّه استطاع أن يذلّل هذه الصعوبات أو أن يسيطر على تلك التحديات أو أن يجد الحلول الجيدة في كل مكان وذلك لأن الفكر الذي يتدفق من عقل مفكر عبقري يكون أكبر بكثير من أن يقيّد في دائرة ترجمية مهما حاول هذا المترجم أو ذاك.

5. الخاتمة:

تحتلّ الترجمة الأدبية بجوانبها المتعددة مكانة خاصّة في مجال ممارسة الترجمة و دراساتها؛ يدور معظم النظريات والاستراتيجيات الترجمية حول النص الأدبي دون غيره. وتزداد صعوبات الترجمة وتحدّياتها إذا كانت النصوص الأدبية تدفّقت من عقل مفكر فلسفي ذي عبقرية فذّة بحيث تكون-أي النصوص- متضمنة للأسلوب والمحتوى الفريدين، ومذكرة العلامة محمد إقبال بعنوان: Stray Reflections من هذا النوع للنصوص الأدبية. وقد وجدت نفسي-خلال ترجمتها إلى العربية- أنّني لا يمكن لي أن أتمسّك بطريقة أوإستراتيجية واحدة؛ فبقيت استمدّ أدواتي، في معظم الأحوال، من طرق الترجمة الحرفية بمفهومها الأوسع والتكافؤ ومن التحولات بصورها المختلفة. وحينما انغلقت عليّ وسائل الترجمة الحرفية والتكافؤ والتحوّلات، لجأت إلى الترجمة المعنوية/الحرّة وإلى الاستراتيجيات التي نبعت من

نظريات التحوّل الثقافي والأيديولوجي أيضاً. وقد سعيت في ذلك الالتزام بالمبدأين وهما اللجوء إليها بالقدر الملائم وفي الحدود الضيّقة. وكلّما انحلّت المشكلة الترجمية لي، رجعت إلى الوسائل والطرق التي وضعتها نصب عينيّ أساسا؛ فالترجمة المعنوية/ الحرّة والترجمة تحت التأثير الثقافي والأيديولوجي جاءت بحلول لم أجدها في وسائلي المفضّلة. ويرد هنا سؤال وهو لماذا تمسّكت بهذه الوسائل الثلاثة في ترجمتي أي الالتزام بالترجمة الحرفية والتكافؤ والتحوّلات؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في نوع النّص الذي تناولت ترجمته؛ فالنص أدبي من نوع خاص بحيث لا يندرج تحت الأجناس الأدبية المعروفة مثل الشعر والرواية والقصة والمسرحية وكذلك هو نص يندمج فيه الفكر الفلسفي المحلل العميق الذي يميل إلى الإيجاز في الأسلوب من ناحية ويميل إلى غرس أكبر عدد من الأفكار في أسلوبه من ناحية أخرى؛ فرأيت - لأجل هذه الأسباب- أن لا أخرج من إطار الوسائل و الطرق التي تدور في نظريات الترجمة الحرفية والتكافؤ والتحوّلات.